الضياء
بهرا
العدد ٥٢٥- الاحد ٢١ شباط ٢٠١٠ م -٦٧٥٩ آ

خلاصة الشعر

Sabah_alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

اذا ما صنعتِ الزادَ فالتمسي له
أكيلا فإني لستُ آكلَه وحدي
اخا طارقا أوجار بيت فانني
اخاف ملامات الاحاديث من بعدي
واني لعبدُ الضيف من غير ذلّة
وما بي الا تلك من شيمة العبد

قائل ابيات الفخر هذه الفارس الشاعر قيس بن عاصم المنقري احد شعراء الجاهلية والاسلام.

وهو واحد من المشهورين بوأد البنات "كلهن وهن احياء" فما ولدت له بنت الا وأدها على عادة الجاهلية خوف العار والفضيحة او الفقر والجوع، وانتهت هذه العادة بعد الاسلام الذي نهى عنها وكان سبب هذا الوأد ان بنت اخت قيس سباها المشمرج اليشكري فحاول قيس ان يفديها أو ان توهب له، فقال له زوجها عمر بن المشمرج: قد جعلت امرها اليها فان اختارتك فخذها. فخيروها فاختارت زوجها، فانصرف قيس غاضبا ووأد كل بنت له واقتدت به العرب.

لكن قسوة هذا الرجل لاتنتقص من عقله وصبره عند المكاره فقد قتلَ ابنُ اخيه ولدا له، فأحضروه مكتوفا حقيرا، فقال: ذعرتم الفتى بمعنى افقدتموه، ثم اقبل عليه فقال: يابني، نقصت عددك "القتل ينقص عدد العائلة والعشيرة" واوهيت ركنك لان ابن عمك هو "ركنك وسندك" وفتّ في عضدك "اضعفت قوتك" واشمت عدوك "افرحت الاعداء" واسأت بقومك "جلبت العار على قومك" خلوا سبيله، واحملوا الى ام المقتول ديته "مبالغ تدفع عن دم القتيل" فانصرف القاتل ولم يحل قيس جلسته ولم يتأثر وجهه.

وقيس هو سيد قومه وفارسهم وشاعرهم وعندما سئل، كيف سدت قومك؟ قال: ببذل الندى، وكف الأذى، ونصر الموالي. ومن خير ما يستحسن ذكره عن قيس بن عاصم هو وصيته لاولاده فقال يوصيهم "اذا مت فسودوا كباركم، ولاتسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم. وعليكم باصلاح المال فانه منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم. واذا مت فلاتقولوا بشبابي التي كنت اصلي واصوم فيها، واياكم والمسألة فانها اخر مكاسب العبد وان امرءا لم يسأل الا ترك مكسبه واذا دفنتموني فاخفوا قبري عن هذا الحي من بكر بن وائل، فقد كان بيننا خماشات في الجاهلية، ثم جمع ثمانين سهما فربطها بوتر ثم قال اكسروها، فلم يستطيعوا، ثم قال: فرقوا، ففرقوا، فقال اكسروها سهما سهما، فكسروها. فقال: هكذا انتم في الاجتماع وفي الفرقة ثم قال

انما المجدُ ما بنى والدُ الصدق
واحيا فعالَه المولود
وتمام الفضل الشجاعة والحلم
اذا زانه عفاف وجودُ

ومن الغريب في هذه الوصية ان يؤكد قيس على اصلاح المال وجعله احد وسائل السيادة، ولم يعرف عن العرب مثل هذه الوصية في حفظ المال وصونه، ولكنه ادرك بالتجربة والممارسة ان التبذير يؤدي الى الافتقار، فالمال وسيلة وليس غاية، والكرم والجود يكون بالمال وليس بالافتقار، فالفقير لايكرم من فقره، وهذه حقيقة فالناس تسوّد عليها من كان ذا مال يستطيع به ان يعزها ويدفع عنها الفقر ولاتسود الفقير مهما بلغ من قدرة العقل والحكمة لانه على ابسط تقدير لايستطيع القيام بواجبات السيادة التي من اولى مظاهرها الكرم والهبات والمساعدات وهكذا.

وقد رثاه عند موته الشاعر عبدة بن الطبيب بابيات صار اخرها مضربا للامثال وهو قوله

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدّما

وعودة الى ابيات الفخر المتقدمة التي اعتدنا قراءتها في الشعر الجاهلي، فان الابيات تدل على مظاهر السيادة والكرم، فان الشاعر يرفض ان ياكل بمفرده الا اذا كان هناك من يشاركه طعامه، ولذلك فهو يدعو زوجته لاستدعاء اي شخص ليكون مشاركا له في طعامه، ولا ادري لماذا تلح علي صورة حاتم الطائي في خطابه لزوجته عند قراءة هذه الابيات ومثل هذه الصورة نجدها كثيرا في الادب الجاهلي. وليس مهما من يكون المشارك جارا او ضيفا زائرا، وهو يقوم بهذا العمل خوف الملامات، وانا ارى ان يكون هذا الفعل سجية وليس خوف ملامات فهوى اجدى بالفخر.

والشاعر عندما يضاف فانه يكون عبدا الضيف ولايكون عبداً في غير هذا الموقف.

قصص قصيرة

رحاب حسين الصائغ

انقلاب مائدة

ليلة رأس السنة عزفت على وشاح خيالها الشارد، محاولةً خلع الشتات القائم فوق ثلج نهارها العابر، مع اول العام الجديد علا صوت لحن حزين يأتي من شجرة عيد الميلاد يشبه بقبقة ماء يتسرب من مكان ما باحثا عن منفذ، أوقدت شمعة لتخفف الطرق المتردد داخل شجون فؤادها الشاخص بغموض النفسه، منتظرة ربيعا تقطف ازهاره لتسحقها مع قلب لبوة، من اجل أن تقدر على تقديم الابتسامة له بشجاعة ساحقة.

اوراق

ظل أثناء عودته من العمل مجهدا مع الغروب، عثر على اوراق أخذها بقي محتضنا لها لوقت موعد نومه، تذكره بساعات عمره المنحنية، هو لا يعرف تفاصيل تلك الاوراق الملتفة على بعضها، يأمل ان يقرأها ذات يوم.

قناديل

حرارة الصيف تعمل بقوة، هي مثل كل النساء حياتها ضمن دائرة الصفر، تتصبب عرقا من الخجل، حين ينظر طرفها السابح في بلاط حلمه، يحملها الأنين عندما ينام على خدها النسيم العاثر، ويغادر الشوق شواطئ المستقلة من الحب.

أعمدة

مدينة صغيرة تموج بوجوده معها، فراستها وجمالة، تموج خصلات ثابتة في حياتهما، قناعة متأصلة، يفرشها صبرة الرقص، في سماء وجنتيها الفرتين، يصاحب تقويم العشق بينهما، نفحات من عبق المسك، تهيم شوارع المدينة عندما يلقحانها بخطواتهما، ومع كل صباح يتجددان، بسر الحياة.

توافق

يوماً صادفه مركب سار في عمق النهر، خفق شراع قلبه، وتلالأت فجوات دمه في قاع وجدانه، فسجل نفسه مسافرا في حلم القطار.

مديات ضيقة

ترقص عطشه مومس عرجاء، بقي لسلوات راغبا في قلبها المعطر، يوقظ شهواته المبتلة بالموت، لا يملك برهانا يؤكد همسه، إلا أنّ تلك العرجاء تقوده كفريسة، لم تتساهل معه ليوم واحد.

حلم عمود

انتشر شاعر في مقهى يجمع افكاره، فتح سؤاله بعبارة، مفادها: - عمود الرخام هذا يذكرني ببلاد أهلها أصبحوا حلم ". . ."، المهانون سايتون، المارقون قمم، حين هوت المفاهيم في تلك البلاد، تغيرت الاخلاق، النفوس قش يابس يسكنه الجفاف تجرفه الرياح، لم يجد صدى لذاكرة المكان، لملم أوراقه زاحفا يبطئ خارج البلاد.

صالون السبت الأدبي يستأنف جلساته بقراءة "ما أتلفته الرفوف"

بيات مرعي يستدعي انتباه القاري لتجربة القصص الممسرحة وغاياتها

ساهر الياس سعيد

عاود صالون السبت الأدبي الذي يقام برعاية البيت الثقافي التابع لدائرة العلاقات الثقافية في وزارة الثقافة وبالتعاون مع اتحاد أدباء وكتاب نينوى إقامة جلساته بعد توقف دام لبضعة أشهر وخصصت الجلسة الأولى للكاتب المسرحي بيات مرعي ليتحدث من خلالها عن قصصه الممسرحة التي حملت عنوان 'ما أتلفته الرفوف' والصادرة ضمن مجموعة السلسلة الأدبية التي تقوم بنشرها مديرية النشاط المدرسي في تربية نينوى حيث حمل الإصدار المذكور تسلسل'١٤ ' ضمن العشرات من الإصدارات التي اضطلعت بنشرها المديرية المذكورة..

أدار الجلسة القاص فارس سعد الدين السردار مقدما في بدايته سيرة ذاتية لبيات ذكر فيها انه من مواليد الموصل تخرج في معهد الفنون الجميلة وواصل مسيرته الدراسية ليتخرج في أكاديمية الفنون الجميلة في جامعة بغداد عام ٩٠ وهو عضو في نقابة الفنانين العراقيين فضلا عن عضويته في الاتحاد العام لأدباء وكتاب العراق بالإضافة لتدريسه مادة الإخراج المسرحي في معهد الفنون الجميلة في الموصل لأربعة أعوام ومدرس التربية الفنية في الكلية التربوية المفتوحة ونشرت له العديد من الصحف والمجلات مقالات وقصصاً فضلا عن تقديم فرق فنية متعددة الكثير من أعماله المسرحية بالإضافة لحصوله على جوائز وشهادات تقديرية وتابع السردار هذا فيما يتصل بسيرته الذاتية إما معرفتي ببيات الكاتب فتختلف في رؤية أعمدتها وتتأول في شهاداته ما استعان به من رؤى نقدية أضاءت جوانب من أعمال بيات خصوصا القصص الممسرحة مدار الجلسة والتي كتب عنها الدكتور جاسم خلف الياس والدكتور احمد جار الله.

إما بيات مرعي فاستهل الجلسة برؤية محورية حول القصص الصادرة قائلا: 'وأنا قادم الى هذا المكان من منطقة باب جديد (شارع الفاروق القديم) تحديدا (شهر سوق) الى حي الجامعة قاطعا المسافة بوقت طويل ربما لاستغرقه لو قطعت بذات المسافة في زمن آخر ، والأسباب معلومة للجميع، وهنا لااريد ان أحدثكم عما رأيت ولكن أريد ان العلم بعضا من مشاهداتي وانطباعاتي التي تسربت الى راسي محدثة كما هائلا من التساؤلات عن نقطة الانطلاق الى هذا المكان الذي تجتمع فيه الآن'.. وأضاف مرعي عن غايته من القصص الممسرحة هي 'البحث عن قاريء خاص تلزمه مفاتيح لعبة العرض البصري وان يجلس في المقعد الأمامي لقراءة العرض فـ(ما أتلفته الرفوف) هي عبارة عن قصص ممسرحة تعبر عن رحلة تجريبية وتأويلية منذ منتصف التسعينيات ومقاربة قصدية الغاية منها ان أوقع بإشكالية ان لم اقل إشكالية اشتباك بحق بين أوجه القراءة ولأقدم العرض بكل حيثياته المرئية ضمن الصورة المهشمة لإعادة بنائها في مخيلة القاريء'.. وأجاب الكاتب المسرحي بيات مرعي عن تساؤل هو لماذا القصص الممسرحة حيث أشار الى أنها القصص تنشأ كتجربة وغاية حيث كانت محاولاتي وضع تحديات لنص قصة قصيرة مغايرا لنصوص كثيرة قرأتها' وزاد مرعي بأنه عمل على إنتاج هذا النوع من القصص وفقا لآلية اشتغالها النابع من محوري الزمان والمكان وهما المطواعان في بناء القصة والمسرحية عبر تكثيف ملحوظ للسرد ومحاولة تهشيم الصورة الحاضرة والجاهزة للاستعانة بهذا المحطم لخلق صور جديدة وتفعيل نظام التتابع الصوري السريع واستطرد الكاتب فقال ان من خلال تلك القصص يكون فعل الكاتب استحضار أدوات وخطوط بيانية للقاريء ليتواصل الخطاب بين الاثنين وليبقى الكاتب هو الصانع لذلك التوجس الدائم عند القاريء لحظة القراءة..

واختتم مرعي حديثه بتوجيه عتاب لكل من يقرأ ويقطع من وقته الثمين القليل منه ليضع كتابتنا المحلية ضمن طابور قراءاته الغربية وان يجلسنا قراءة الكتاب الغربيين العالميين والتذكره مجرد الذكرى لربما نكون نحن أكثر عالمية في عيون من يقرأهم فقليلا من التواضع لأنفسنا ولنقرأ بعضنا البعض عسى ان نجد شيئا جميلا حولنا او قريبا منا".. بعدها بدأت المناقشات تتوالى حيث استهلها القاص طلال حسن مبديا اهتمامه بما يكتبه الأديب الموصلي داعيا الكتاب والنقاد للاهتمام بما يقدمه هذا الكاتب والمبدع واقترح حسن ان ينظم اتحاد الأدباء في المحافظة أصبوحة يخصصها لأي كاتب او قاص او أديب ليتناول من خلال ما أصدره من نصوص لان هذا التقليد معمول به في بعض محافظات العراق وهو يشجع الكاتب على انجاز المزيد ويخرج من لغة الحوار من تكويراته المتشنجة وعدم فهم الآخر..

فيما قال مثنى عبد القادر مدير البيت الثقافي تعليقا على مقترح القاص طلال حسن بان أبواب البيت مشرعة أمام الجميع لاحتضان أدبائنا وفنانينا فضلا عن الشروع بمشروع مهم لتوثيق هؤلاء المبدعين إلا ان ما يؤخذ عليها هو ضعف استجابة هؤلاء الأدباء للمشروع من خلال عدم رفدنا بسيرهم الذاتية ومنجزاتهم الأدبية.. فيما ثمن الدكتور ذنون الطائي مدير مركز دراسات الموصل دور البيت الثقافي مهنئا القاص بيات مرعي على إصداره الجديد وقال الكاتب فاضل محمد عبد الله انه قرأ كتاب القاص بيات مرعي فلم يجد عبره قصصا وقرأها مرة أخرى كمسرحي فلم يجد مسرحية وعموما فإنها إبداع جديد وغير مسبوق لبيات.. فيما ذكر الدكتور جاسم محمد ان من حق كل كاتب نص ان يبحث عن المغايرة ووجه كلامه لبيات مشيرا بأنه يحاول ان يبحث عن المغايرة التي اعتدنا من كل الأدباء ان يتعرضوا لها عبر السياق لكن ما موجود في القصص الممسرحة ان بيات حاول إلغاء تلك السياقات من جذورها وأشار الدكتور محمد الى ان القاريء محصن بثقافة قصصية وتاليا بثقافة مسرحية ومن خلال هذه الرؤية ينبغي علينا إيجاد قاريء يجمع ما بين تلك الثقافات وقال الدكتور احمد جار الله انه قضى وقت جميل في قراءة القصص الممسرحة لكنه لم يخف خشيته من الاهتمام المتمركز بالمسمى أكثر من النص وفي ظل الحداثة لا يوجد حدود بين الأجناس ودعا الى عدم الاهتمام بالمصطلحات رغم ان الأجواء الثقافية في المدينة باتت تهتم بالمصطلح أكثر من النص.. وفي نهاية الجلسة قدم مدير البيت الثقافي شهادة تقديرية للكاتب المسرحي بيات مرعي تثمينا لجهده الأدبي..

بصراحة... قرأت "على طريق الابداع"

-في ثقافة وادب- من جريدة بهرا ليوم ١٧ / ١ / ٢٠١٠

بقلم يونادم بنيامين

وقد تبلبلت الكتابة فيها كالواح في حقل نرجو منه المحصول الوفير وقد باتت الخاطرة والومضة الشعرية والبوح القصصي وتأرجحت كل منها لتضع لنفسها خطا ادبيا، بدوام بالمران بالقراءة والقراءة الفاحصة المتأنية بمراياها التامل والوصول والسهر وقد تلذذت حقا بما كتب ودون واقوالها مشجعا لهم استمروا ايها "الكتبة" غدا، تشرق نتاجاتكم وتقفون على المنابر، تقرأون ما تريدون ان تقولوه اليوم، واوصيكم بالقراءة اي الثانية والثالثة وهنا تتشاهدون عين ماء صافية وفي الثالثة ماءا نقيا واطيارا تسبح في مراياها وعلى حافاتها تنمو الاعشاب والريحان عندها تحلو الكتابة وعندما نقول هذا لانتسى وقود الكتابة هو القراءة وانشروا ما لديكم في الصحف الاخرى.

وبأسمائكم الصريحة كما نحن مازلنا في هذا البحر الثقافي نقول ونسمع ونتأمل ومازلنا على هذا المنوال لان الثقافة هي المواصلة أسياف الا الشعراء كما يقول المتنبي. والعالمية تأتي من المحلية من الزقاق من الحي القديم كما يقول الروائي السوري حنا مينا. لااريد ان اجامل احدا على حساب الآخر، كتتم يامن كتب "على طريق الابداع" ليوم ١٧ / ١ خير اصدقاء لنتعارف على ميولكم الادبية، لقد اصبتم كبد الحقيقة والقادم اكيد هو الافضل لان المستقبل كلنا تذهب صوبه بالامل بالهدف بالغاية بالشوق ولكن بالتسلح الثقافي وغزارة المعرفة لان الحياة "حلوة" لكن فيها صعاب واهوال يجب ان نخوضها ونشرب من صافي كأسها ولا يركبنا الغرور ولا كل ما كتبه "مدحا" فهو راس المال وكأس النهاية فالادب طريق طويل ومن سلكه عليه التروي وغدا تنتظره قريب وتقرأ للمبدعين الذين سلكوا طريق الابداع الحقيقي في الشعر في القصة في المقالة في الخاطرة في الابداع نفسه.. ودمتم.

سماء بجحم أفواهنا

عبد الله نوري الياس

الى صديقي الانسان والشاعر المثابر يونادم بنيامين

الطبيعة دائماً
صديقتي في دفع الحماقات
الى القمامه
ورمي الفايروسات
في المطحنة
والآثام العالقة
في اسفل الضوء
الى المرحاض
الشعر صديقي
في شق سرالف الأقنعة
ومخاديد العاطلين
عن الكلمة
والناعسون فوق فراش
القش
ودخان عرّافات الخرافة
في كل مرة
تدخل صناديق الاقتراع
من خلف القضبان
أو من اماكن ضيقة
هذه المرة
تدخلها من باب الشمس
والحرية والتنفس
فالوقت يأكل حميميتي
بشراسة الحرب
ولأني رايت كل الذئاب
تتصارع في القيوات
مثل صغار الفأر
ورأيت السعادات
تستحم في حمامات الالهة
وتبني أعشاشها
من رذاذ الضوء
وبراءة القدس
واجنحة الفراشات
الشمس تلك الأعجوبة
التي لايبصرها المرء
تشرق على الكل
والكل يستأنف صباحه
بقبلات ينثرها
على وجنات صغاره
وهم يذهبون الى مدارسهم
لصديقي الشاعر
يونادم بنيامين
عيون زخرفية
في قنص المشاهد
وله قفشات النعامة
ونكات أخف
من نثيث الثلج
ويراع تتصارع مع الكواسر
ومفسدوا لقمة العيش
والغناء والرقص
والصداقة والأناقة
يراع يتسلق الجبل والاصابع
ومناقير السنونوات
وتمد ذراعيها لهيبة الحندقوق
وشالات السركلا
وجمال عباد الشمس
وله الجاذبية
في قراءة الآله في عرينه
هكذا بدت لي الأرض
مبهمة وشاردة ومسلوقة
الا من الخضرة
والمطر والقصائد
مزهوة بالامنا
وأفواهنا القلقة
وكفافنا يومنا
من الخبز والعسل والزهور
والفجل والكرفس والبطاطس
والمعدنوس والبصل الأخضر
ورحلاتنا باتجاه المستديام
والف ليلة وليلة
والبحث عن كلكامش
في الخلود
أنا دائماً أكتفي بالبسمة
ونصف تفاحة
تلتمع في شفاهها الفردوسية
وأصابع تخلدني الى الأبد
فالذين تأسدوا رؤوسهم
في الحماقات
والكراسي الزائلة
تزقوا ما بالكفاية
وسيعاودون علاقاتهم
مع الخردة فروش
وعمال الحلاقة
واصحاب أكشاك السكاير
واصحاب البالات
وبائعو الكتب والمجلات
مرة كنت في الرابعة
أشتروا لي نفاعة مقرصنة
تخيلت ان العالم في قبضتي
وأني الان فقط
أتربع على عرش الخليقة
وحين أنتهيت من ابتلاعها
شعرت بالبرد ينخر دمي
وهزيمة طفل
لازال يحبو
مع صغار المحلة
ولانهم ينحون للفراغات
وينحتون صورهم
في الفحم
فالشمس لاتنجب الا الاقمار
وسماء بحجم أفواهنا
وعصافيرنا

رثائي

سناء غضبان جابر

فلنجلس عند رصيف العمر
ولنبك حزنا ابديا في القلب
كحزن نساء الشرق المهمومات
كحزن صبايا الشرق المخبوء خلف عيون جامدة
كالجمر الاسود
كحزن صبايا الشرق المنتحرات
وكأحزان صبايا الليل
اتعبهن حرير الباب ووقع الاقدام
وتقبيل شفاه ميتة كالحنظل
وكحزن ضياع حين يحس
بأن الايام تمر
وان شباب العمر يموت ويذوي
وان الارصفة الموبوءة بالذل والقهر
ستكون له قبرا
وكحزن الام اذا ما غاض الدمع بعينيها
ودنا الوجه الى الصمت
فلتصمت بالقلبي
صمت قبور الصحراء الموحشة في الظلمة
والسكنات
فلقد اتعبنا الدرب.. اتعبنا
جفّ منا الدم والدمع ليالي.. اياما.. سنوات
جف بريق القلب كالنخل الخاوي
وكحيطان المدن المهجورة اصبحنا
يلتف عليها الشوك
وتنعق فيها الغربان
يلفها اقسى النسيان

بحر لاشاطيء له..

لونا يوآرش هيدو

وانا سارح في طريقي، ايقظتني تأملاتي وتساؤلاتي..
حتى غدوت ولامؤنس لي ولاقريب..
لم استطع ما كتبه لي القدر..
فهل من الهام سماوي ان يرشدني الى السبيل؟
هل من همسة توجهها الى اذني الضعيفة لتشدد
بها عزيمتي؟
ولما صحوت كان الليل قد غمر كل شيء بأمواجه القاتمة..
فما اقساك ايتها الحياة
لقد حجبتني عن رؤية احب الناس الى قلبي
الا يكفي ما لاقيته؟
فأن جذور المي تمتد الى اعمق ما يمكن ان يتصوره
انسان..
ترى هل سأسعد بلحظة اللقاء؟
فمتى سأمتع عيني بزرقة السماء
وصفرة الشمس ولألاء ألجين القمر والنجوم
وعلم بلادي يرفرف عاليا تلامس الوانه البهية
زرقة السحاب
متى ساحس ان التمرد والتمزق النفسي قد انتهى
الى الابد
متى سيذوب الثلج وتتفتح الطرقات؟
فقد ادركت انني انا الغريق..
غريق التخبط في الامواج التي تتلاقفني على هواها..
غريق انا في بحر من الالم لاشاطيء له
لكني.. سأجاهد وارمم ما هدم
ان بقي لي شيء من العمر..
وان كان اجلي قصيرا فلن ارضى الموت
بعيدا عن وطني..

وأزهر الياسمين

لبنى ياسين

في كل مرة كنت ترسمُ لي فيها على حافة الصمت قلبًا ووردة حمراء، كنت أرسمُ لكَ عصفوراً وزهرة ياسمين، وكان عصفوري يفريش فوق القلب ويبعثر الوردة، فأمحك تتشظى... تتشطرُ إلى نصفين، أحدهما يتلاشى مع أوراق الورد المبعثرة، والآخر يغرق في صمت حزين.

لم يكن ما بيننا يشبه ما يكون عادة بين رجل وامرأة، ولا حتى بين امرأة وأخرى، كان شيئا مختلفا، شيئا لا يشبه الاشتياق ولا تلوح منه رائحة العشق فقط ، كأن بين روحينا تواطؤ غير معلن للاحتواء، هناك شيء في حضورك يأسرني ويطلقني في آن واحد، يبعثرني ويلملمني، يشظيني ويعيدُ تكويني من جديد، كانت قطعة بالغة من روحي المحترقة لا أرغبُ بحشرها في أفقِ ضيقِ لجسدٍ فانٍ.. كانت فرحا لا يشبه الفرحَ.

تلك الطغيان الذي تملكه بمنتهى التلطف، ذلك الاجتياح الذي لا أملك له رديفا، ذلك الألق الذي لم أعرف مثله يوما، شيء يشبه النقاء، يشبه دموع الأطفال، يشبه الشمس والياسمين، ولا يشبه وردة حمراء، كأنك كنت في ثنايا الروح منذ الأزل، كأنك خلقت وترعرعت هناك، كأنك لم تغادر أبداً.

لذلك كل مرة كنت تصر على أن تقدم لي وردتك الحمراء، وكنت أصر على أن أهديك ياسمينة تترى تلك البياض الرقيق الذي لا أريده أن يخدش بأي هفوة.

وحدك دون الناس دخلت إلى دهاليز الروح وتجولت فيها بحرية من يتجول في سكنه في وحدة ليل هادئ، وحدك عرفت الغرف المبللة بالفرح، كما مررت بأخرى مسربلة بالحزن، وحدك لامستَ الروح ، وعانقتَ أدق خلجاتها، فلماذا تصرّ على أن تلوث شيئاً أسطوريا سرمديا لا مثيل له بشيء يشبه كل الأشياء التي حوله. عندما جلستَ على شغاف القلب ذات حزن بحت لك بأنني لا أريدُ أن أكونَ محطة تترجل منها عند وصولك إلى أخرى، أريد أن أظل ذلك الوجع القصي في الروح، أخبرتك بأنك لا تشبه الأسماء ولا تحمل الملامح ذاتها التي يمتلكها الكل، لذلك كان علي أن أحتفظ بمشاعرك، ولذلك كان علي أن أحملك على جناحي حلم حتى لاتطأ الأرض فتدفن فيها ذلك الشعور الدافئ، فلا تتكئ على تفصيل صغير من شأنه أن يجعلك تشبه كل من حولي، ليس بالضرورة لمن يلامس الجسد أن يقترب من الروح، وأظنه حتميا عليك أن تظل تلك الأسطورة التي تورق في أوردتي، وتزهر على شغاف وجعي، ستظل زهرة ياسمين رقيقة تتعلق في روحي، لتتحرر معا من الفناء، من أجساد لا ترتقي لأثير أرواح تعانق خيوط الشمس الدافئة، ولا تسمو لتكون شقيقة كروحك ولا متلألئة كذلك الدفق الهائل الذي يخترقني كلما مررت في بالي.

دع الأجساد للأرض والعنق نحو السماء، نحو السمو، حيث لا يوجد للخطيئة مكان ولا مطي.

عندما زرعت لي الأرض وردا، زرعت لك السماء نجوماً، وخيرتك بين أن ترحل، وبين أن تظل وردتك كمدا وتنثر الياسمين.

كنت أخشى بيني وبين نفسي أن تختار الرحيل، أحتاج إليك، أتوق لوجودك، وأحتاج إلى ذلك الشعاع الذي أشعلته في حنايا نفسي ولا أريد له أن ينطفئ فأنطفئ معه، ولا أريد أن أستفيق صباحا لأجد نفسي وحيدة مرة أخرى.

أكذب إن قلت أن رحيلك صعب، إنه مستحيل، قلتَ، قد يذبحني، أنا التي للمرة الأولى على امتداد العمر أجد رجلا يفهمني، يبحر في عمقي، يتماهى مع تناقضات جنوني وفزعي وارتيابي، يعزف على أوتار ظمئي، يشظيني ويطلقني في لحظة واحدة، كيف كان لي أن أفقدك وفقدانك قد يمزق شرايين الفرح في قلبي إلى الأبد.

كنت تحاول أن تجرني من يدي إلى تلك الزاوية المحرمة، ومرة تلو الأخرى رحت أشدك برفقٍ لتحلق معي حيث النجوم.

أزهر الياسمين في قلبي أخيراً، وشممتُ رائحة الحرائق تنبعث من جدران قلبك، لكن رائحة الياسمين ما لبثت أن تغلبت على ذلك الدخان، ولم أعِ أنك أسلمتني روحك ورحت تبحث لقلبك عن امرأة أخرى، لم أنتبه أنني تربعت أخيراً على عرش الأولياء في قلبك، لكن عرش الحبيبة صار شاغرا بانتظار أخرى، أسحقتني لحظة الانتصار، وساعات اللقاء النقي، والأحاديث الملونة حيناً والبيضاء أحياناً أخرى.

وها أنت اليوم تعيدُ ترتيب وردتك الحمراء لتهديها إليها، في داخلي مأتم لموت شيء لا أدرك كنهه تماما، قد يكون قلبي، قد تكون روحي، وفي عينيّ تنصلت دمعة أغلقت عليها جفوني جيداً لئلا تراك، اقتربت منك بهدوء لا يشي بالزوابع التي تجتاح كياني، ولا بالفقد الذي راح يحفر سراديب ظلام على حافة الروح، رسمت لك على صفحة وجهي ابتسامة هادئة، وأعطيتك حزمة ياسمين، أغلقت عينيك عن دمعة توشك أن تفضح عريك، وابتسمت بارتباك قائلا : ما زال ياسمينك الأغلى على قلبي؛ لكنني لا أستطيع الحياة دون وردة حمراء.